

من مئذنة القصبة

لأمير الأمراء الديد حسن حسني عبد الوهاب

وزير الظلم بنونس

—>>><<<—

من كوة هذه المئذنة الحفصية العتيقة — مئذنه جامع القصبة القائم في قلب مدينة تونس — يرسل التأمل بصره فتعجلى له « الخضراء » كأنها برنس أبيض مفروش على شاطئ .

وأول ما يشخص أمام بصره هذه المآذن السامقة الضاربة في الجو التي تزين أفق تونس ، وتقوم أدلة شاهدة على هذه العهود التي مضت ، عهود الأغالية والفواطم والحفصيين والأتراك الذين كانوا يفتنون افتناناً في إقامة هذه المآذن الرائعة يدعرو عليها الداعي إلى عبادة الله ، في مختلف مواقيت الصلاة .

وبالله ما أجل هذه القباب البيض الناصعة البياض ، والخضراء الشديدة الخضرة ، والصفراء الفاقمة الصفرة ! كم تبعث في النفوس التهجة والنبطة ! وكم توحى إلى النفس معاني من الجلال والتقدير ! وكم تمتع العين بمجال من الجمال الرائع ، هذا

تعبير عصفورة أو تعبیر زهرة تستفيد ولا شك أضعاف تلك الفائدة من تعبیر أبي الطيب وهو ميروس وابن الرومي ويرون وعمر الخيام ، لأن قضائهم هؤلاء تعبیر عن الطبيعة الحية وليس قصاراهما أنها لفظ يقال أو أنها فن يصاغ .

فالاطلاع على ثمرات القرائح اطلاع على ثمرات الحياة ، وكلما اتسع النطاق اتسع التعبير وتنوع الثمرات ، لأنك لا تعرف الحياة الإنسانية بالإطلاع على أبناء زمانك الذين يشبهونك ويتلقون معك الشهور من مصدر واحد ، ولكنك تعرف الحياة الإنسانية حق عرفانها إذا عرفت الصلة التي بين المصور المختلفة والأقطار المتباعدة ، وعرفت الواشجة التي يجمع بينها على تعدد المصادر وتفاوت المؤثرات .

وليس هذا بيمسور لشعراء العصر الواحد ، وكيفما كان نصيب هؤلاء فهو ولا جدال دون النصيب الذي يظفر به قراء جميع المصور .

عباس محمود العقاد

٢٤٠١٩

الجمال الذي يزيده شعاع الشمس روعة وفتنة . إن هذه المآذن والقباب لرائعة في إشراق الشمس وبزوغ القمر . إنها لسحرفي الليل والنهار . إنها آية من الفن تمتع الناظر بمختلف المراض والناظر .

من كوة هذه المئذنة يشرف المطالع على تونس اشراقاً محيطاً فلا يغفلت من العين معلم من معالمها ، ولا يندعها مظهر من مظاهرها . يرى تونس العربية في شكلها الشرق البديع ، وينعم النظر فتبدوله المدينة الأوربية الحديثة بمآثرها الشاهقة وقصورها العالية .

ها هي ذى سطوح الدور العربية بضاء شرقية . وها هي ذى سقوف الأسواق المقوسمة تبدو كأنها مسابيل من ماء منسابة . وها هي ذى القصبة تظهر عامرة بهذه الدواوين الحكومية التي أقيمت على أشكال بعضها شرق والآخر غربي . وها هي ذى بحيرة تونس تلوح من بعيد وقد انعكست عليها أشعة الشمس وأرست فيها البواخر ، وطار في جوها هذا الطائر الزائع النضام « البشروش » ذو الأجنحة الوردية والطيوان الشوان . وها هو ذا خليج تونس يشق الأرض شقاً والرتل الكهربى يبدو كأنه أرقم جد في هربه ، ينساب في هذا البرزخ الممدود بين العاصمة والمصطاف التونسي البديع « حلق الوادي » الفضي الأسحار ، الذهبي الأصائل .

وها هو ذا جبل (الزلّاج) الترامي الأطراف تتوج هامته تلك القبة الخضراء القائمة في ذروته كأنها قلعة حربية ، وما هي في الحقيقة إلا زاوية الشيخ أبي الحسن الشاذلي دفين عذاب من صحراء مصر .

ومنه تنتقل العين إلى ذلك الجبل الأثم الشامخ الرهوب جبل (أبي قرنين) المظل على مربع (حمام الأنث) وعلى قمة هذا الجبل كان القرطاجنيون أقاموا مبدأ لبعل ذي القرنين كبير آلهة الفينيقيين وما يزال التونسيون إلى اليوم يسمونه بجبل أبي القرنين .

وما تزال العين تقع من هذا الموقع الكاشف على بدائع الخضراء حتى يبدو لها من بعيد ذلك الجبل الآخر السامق الذراء « جبل زغوان » مسبح الصلحاء وخلوة المباد والزهاد ، ومنبع العين الدفاقة التي تفيض ببحيرات مأثها النمبر على العاصمة التونسية وضواحيها .

نسبت لحراسة الخضراء ، أعلامها أشجارها ، وعدنها صخورها ،
وهيها ثموخها ، وخيلاؤها ارتفاع رأسها في الجو .

بحر إن شئت حدثك عن الأساطيل القرطاجية ، والأغلبية
والفاطمية ، وكيف شئت صفحته هذه الأساطيل الغازية لتونس ،
الحارسة لسواحل البحر الأبيض المتوسط : فكأنها أسود البحر ،
لكنها تدفع الشر وتجلب الخير .

وجبال إن شئت نبأتك عن مدينة قرطاجنة وعن حضارة
الأغالبة والفواطم والحفسيين والأتراك ، وحدثتك أحداث القرون
العابرة ، والأجيال العابرة ، التي مرت ببذا القطر على سواحل
البحر الأبيض المتوسط وضاف أودية الصحارى الأفريقية ،
جبال تصور لك الشمس وهي مائلة إلى الغروب ، مرسله شعاعها
المسجدي العليل على مآذن تونس ، والمؤذن ينتظر ليدعو الناس
إلى الشكر والحمد . وتربك ضوء الفجر ينشر في الآفاق رواءه
والمؤذن أيضاً يجهر بدعائه : الصلاة خير من النوم !

حسن هسنى عبد الوهاب الصمارحى

حقاً ، إن تونس من هذا المكان تجلب اللب وتأسر الفؤاد .
وإنك لتود ألا تبارح هذه المناظر الصباح والمباجع اللطاف ، وهذا
المزاج من الجلال والجمال والماضى والحاضر ، والدوق الشرقى والشرقى
الذى عمل في تكوين تونس ، في هندامها الأنيق ، وتحطيطها
الدقيق ، وحسن موقعها ، وإحاطة الجبال والمغناط بها إحاطة
الهلل ؛ اللهم إلا ما يعزل بين البر والبحر .

إن موقع تونس الجغرافى بسديع غاية الإبداع ، هي بحرية
كأنها جزيرة ، وهي برية كأنها صحراء . فهي تجمع بين الغرب
والنور كما يقول المحافظ في مدينة البصرة .

أما ترى البحر كيف يهاجم بأمواجه هذا المرفأ ، فهي تصطفيق
وتعوج ونصخب ، حتى إذا ما اصطدمت بهذه الحواجز القائمة على
الساحل انثنت مبددة متناثرة ، وما هي إلا لحظة حتى تتجمع موجة
أخرى هاجمة تريد أن تشقى صدرها من صدمة هذه الحواجز ،
ولكنها تنهزم مع صاحبها الأخرى ، فلا الموج يكف عن الهجوم
ولا الساحل يلقى سلاح المقاومة ...

أما ترى هذه الهضاب المحدقة بتونس ، كأنها حيوش جردرة

محمود تيمور

رائد القصة العربية

تألف نزيه الحكيم

دراسة تحليلية لدرجات الأدبية الحديثة

في آثار القاص المصرى

محمود تيمور

يطلب من مكتبة النهضة المصرية شارع عدلى بالقاهرة ، وكذلك من مكتبة بصر ٦٣ شارع الفجالة بالقاهرة

وتمن النسخة عشرة قروش